المزدوج والمتوازي ، والى حد اقل المتناقض ، هو الذي فرض على عبد الناصر وعلى المقاومة عدم التصدي لبعضهما بعضا في المرحلة الاولى ، وفرض عليهما مستوى من الارتباط والتلاحم لا تجيزه التزامات كل منهما : التزامات القيادة المصرية بالحل السياسي ، والتزامات القيادة الفلسطينية بالحل التحريري . وقد تمكن الرئيس عبد الناصر ، في الخطاب الذي افتتح به المجلس الوطني الفلسطيني السادس في حزيران ١٩٦٩ ان يعبر عن منطقية التوفيق بين مطلبين هما ، في اي امتحان او معيار ، متناقضان . وانصافا نقول ، بأن الجماهير العربية وكذلك القيادة المصرية كانت تفسر هذا الموقف بان احتمالات تنفيذ قرارات مجلس الامن ليست واردة بالنظر لتعنت اسرائيل ومراوغتها ، وبالنسبة لطبيعة الذهنية والحركية الصهيونية وتصميمها على التوسع ومواصلة العدوان . لذلك فان الثقة السياسية للجماهير العربية بقيادة عبد الناصر ، كانت نابعة من اقتناعها باستحالة تنفيذ قرار مجلس الامن الذي من شانه ، في حالة تنفيذه ، تصفية القضية الفلسطينية ، لانه من الاستحالة ان يسهم عبد الناصر في هذه العملية التصفوية . وفي الوقت ذاته ، كانت الجماهير مرتبطة وجدانيا والى حد ما سياسيا بالمقاومة الفلسطينية ، لانها كانت تعتبر ان سياسة التحرير هي التي تلبي تطلعاتها القومية وامالها الثورية . ولكنها ، اي الجماهير ، كانت تعتقد بانه ليس بمقدور المقاومة ان تقوم بالتحرير وحدها ، انما بمقدورها ان تبقي قضية التحرير مفتوحة وحية ومتفاعلة . بقيت هذه العلاقة الثنائية من قبل الجماهير مع كل من المقاومة وقيادة عبد الناصر ، قادرة على فرض مستوى من التنسيق حتى في احلك لحظات اللاتفاهم ، وكانت قادرة على ان تنجز هذا المستوى انطلاقا من قناعة وطنية اساسية عند الرئيس عبد الناصر بأهمية ابقاء الجماهير في حالة متقدمة من الاستعداد للتلاؤم الذي كان متوفرا عند القيادة الفلسطينية وعلى الاخص فتح وعند قطاعات كبيرة من الشعب الفلسطيني خاصة في الضفة الغربية وقطاع غزة . على اي حال مهما كانت التباينات مع مصر ، ومهما كانت المقتضيات الظرفية التي تحول دون قدرة مصر على التحرك الثوري الجماهيري الكامل ، فان اي اسقاط لمصر من حسابات اشاعة روح المقاومة وتعميقها على الساحة العربية ، هو اسقاط يفرغ العرب من احدى الادوات الرئيسية الضاربة ضد اسرائيل . وهكذا كان على المقاومة الفلسطينية رغم عدم تواجدها الحميمي داخل الارض المحتلة بمعنى ارتباط اهلنا في الارض المحتلة بقيادة المقاومة وتوجيهاتها وليس بمعنى التعاطف معها ، كانت المقاومة قادرة على التقاط هذه الضغوط والاستجابة لها وبالتالي الابقاء على علاقة عضوية مع القيادة المصرية رغم تشنجات طرأت في عدد من المراحل تمثلت في ادانة تخلي التعبير السياسي المصري عن مفرداته الثورية بالنظر الى مهادنة الانظمة العربية والى تقلص ، والى حد ما تخلي القيادة المصرية ، عن الفعل الثوري في المنطقة العربية . اذا ، فقد كانت المقاومة الفلسطينية وكذلك الرئيس عبد الناصر ، على استعداد للقبول بوجهة النظر الاخرى رغم عدم وجود استعداد لدى اي منهما لتبني وجهة النظر الاخرى . هذه العلاقة الحميمة لكن المتوترة في الوقت ذاته ، العضوية والمستقلة في نفس الوقت بين هاتين القيادتين الجماهيريتين بقيت تحمي التواجد الفلسطيني المكثف وعمل المقاومة في الاردن ، والى حد ما في لبنان .

مشروع روجرز

ظلت العلاقة على هذا النحو : حميمة ومتوترة في آن واحد ، الى ان تقدم وزير الخارجية الاميركية بمشروعه المسمى « المبادرة الاميركية للتسوية » . وكان الرئيس عبد الناصر قد ذهب الى موسكو واجتمع بالزعماء السوفيات ، وتباحث واياهم في موضوع القبول بهذه المبادرة . تبين بالنتيجة ، ان السوفيات ، وان كانوا يرغبون في مضمون هكذا مبادرة ، الا انهم المحوا الى ان من الافضل ان تأتي هذه المبادرة من فرنسا بدلا من ان